ولا تكمن أهمية هذه الرواية فحسب في كونها النص الروائي الفلسطيني الوحيد، من أعمال تلك المرحلة، الذي حقق رواجاً استثنائياً وقت صدوره، اذ..«..أثارت ضجة حينذاك، واختارها القراء وقدموها على سائر ما صدر في سلسلة (اقرأ) من كتب في استفتاء أجرته دار المعارف لقراء العربية..»[٢٠]. ثم اعيدت طباعتها مرتين بعد ذلك، فحققت انتشارها الجغرافي في أنحاء البلاد العربية، وحضورها الأدبي والتاريخي كرواية فلسطينية وعربية معاً. لكن أهميتها تنبع من الموقف السياسي والايديولوجي الذي طرحته، والذي يفصح عن مواقف طبقة وثقافتها ورؤيتها.

على المستوى الفني، لا تشكل الرواية اضافة جديدة الى الأدب العربي، بل انها ترتد الى شكل مطروق في التراث الادبي العربي، وتستفيد منه دون أي طموح فني للتطوير. فهي تستفيد من «كليلة ودمنة» واسلوبها وتستعيده، حيث تصاغ الحكاية من حياة الحيوان، وينطق حوارها بلسان الحيوان، فيتطابق ما هو حيواني – روائي مع ما هو إنساني – واقعي. ومن خلال ذلك يُسقط الكاتب رؤيته و«فلسفته» على لسان الطير الذي صنعه، فيختلط الفني بالذهني، والروائي بعقلانية الفلسفة.

والدجاجة التي صنعها الكاتب هي دجاجة حكيمة، تفصح عن «حكمة» الكاتب نفسه، حيث يلخص الدكتور طه حسين في مقدمته، أهم صفاتها ومزاياها..«دجاجة عاقلة جد عاقلة(...) مفلسفة تدرس شؤون الاجتماع في كثير من التعمق وتدبر الرأي(...) شاعرة تجد ألم الحب ولذته وعواطفه المختلفة(...) رحيمة تعطف على الضعفاء والبائسين وترق للمحرومين وتؤثرهم على نفسها(...) بليغة فصيحة تفكر فتحسن التفكير وتؤدي فتجيد الاداء(...) تشعر شعور الناس وتفكر تفكيرهم وتعبّر كما يعبّرون(...) وهذه الدجاجة فلسطينية(...) ان دجاجة فلسطين تجد من حب الخير وبغض الشر والطموح الى المثل العليا في العدل الاجتماعي والعدل الدولي وفي كرامة العروبة وحقها في عزة حديثة تلائم عزتها القديمة ما يجده كل عربي من أهل فلسطين بل من أهل الشرق العربي» (مقدمة الرواية،ص ٥-٦-٧).

تروي الدجاجة تفاصيل أحداث حياتها، بدءاً من انتقالها من بيتها القديم حيث عسر الحياة، الى بيت آخر جديد تبدأ فيه علاقات جديدة مع قرينات لها. بيد أنها تتكيف مع حياتها الجديدة، ويساعدها على ذلك ما تتميز به من حكمة وفهم. لكن سعادتها لا تلبث أن تهتز، وذلك حين يتسلل الأعداء (العمالقة) الى مأوى الدجاجات ويسوقون معهم عدداً من رفيقات الدجاجة الحكيمة. وعندما تفكر الفراخ – الجيل الجديد – بالانتقام، تحول الدجاجة دونهم والمغامرة، وذلك لعدم تكافؤ قوتهم مع قوة العمالقة.

وتنتهي الرواية باستيلاء الدجاجات الغريبة على المأوى الذي لم يعد يتسع لاصحابه وللدجاجات الطارئة معاً. ولا يبقى لأصحاب البيت من خيار سوى التنازل عن مأواهم أو التمسك به وطرد الدجاجات الغريبة، فيعبّرون عن رأيهم بالتمسك في الحل الثاني. لكن الدجاجة «الحكيمة» – والتي تستمد حكمتها من حكمة الكاتب نفسه – تحول